هوغو ستنس

ملك المال الالماني

ورد اسم هذا الرجل مراراً في الجرائد اليومية واطلعنا على وصف مسهب وصفهُ بهِ رجل اميركي لقيهُ منذ عهد قريب وحدَّثهُ ملياً في كثير من المسائل المعاشية التي يهمّ قراء المقتطف الاطلاع على رأيهِ فيها لانهُ اعظم مالي في المانيا واقدر مدير للاعمال الواسعة النطاق فرأينا ان نقتطف من حديثهِ ما يلي

قال الكاتب : ذهبت الى المانيا وغرضي الاول البحث في احوالها المالية لارى ما تستطيعهُ من حيث ايفاء الغرامة التي تُطلَب منها وتعمير ما تخرَّب من بلادها ومعاملها . وكان لي من وراء ذلك غرض آخر وهو ان القي المالي ستنس واقف على آرائهِ . ولما تعذر عليَّ ان اجتمع بهِ في مدينة من المدن التي يتردد اليها كسلبرج وفينا وموغ وهمبرج قصدت ان انتظرهُ في برلين لكثرة تردده اليها . والسبيل الاكيد في المانيا للوصول الى رجل هو بواسطة البنك الذي يتعامل معهُ فقصدت الدكتور فون ستوس مدير البنك الالماني (دتش بنك) فاعطاني كتاباً الى ستنس يعرّفهُ بي ولكنهُ قال لي انهُ لا يظن انني اتمكن من مقابلتهِ . ثم ذهبت الى مدير شركة الاعمال الكهربائية التي لها اليد الطولى في ترقية المانيا صناعياً وطلبت منهُ ان يساعدني على الاجتماع بستنس والتحدث معهُ فقال لي ان ذلك ضرب من المحال لان ستنس لا يحادث احداً

ثم لقيت وكيل ستنس وهو ماجور من ضباط قلم المخابرات الالماني . ومن اعمالهِ تعيين الاوقات التي يقابل فيها ستنس من يريد مقابلتهم فقال لي انهُ ينتظر مجيئهُ الى برلين بعد ايام قليلة ولكنهُ لا يقيم فيها اكثر من ٢٤ ساعة وكل ساعة من هذه الساعات لها شغل معين ومع ذلك وعدني ان يبذل جهدهُ حتى يجعلهُ يراني

وفي اليوم المعين جاء ستنس الساعة السادسة بعد الظهر واخذ للحال يتذاكر مع مديري اعمالهِ الى الساعة الرابعة بعد نصف الليل ونهض الساعة الثامنة صباحاً وعاد الى مذاكرة المديرين الى الساعة السابعة مساء ثم مضى الى موعد آخذاً بعضهم معهُ في مركبتهِ لتتمة المذاكرة في اشغالهِ

هوغو ستنس

متتفف يناير ١٩٣٢

امام الصفحة ٤٤

وبعد اسبوعين عاد الى برلين وكنت قد دعوت الماجور وكيلهُ الى العشاء مع رجل اميركي كان الماجور يريد ان يجتمع بهِ . ولما سألتهُ عن رئيسهِ قال لي انهُ آت لاشغال مهمة جدًّا ولا يظن انهُ يستطيع ان يراني .فقلت لهُ انهُ يتعذر عليَّ ان اغادر المانيا من غير ان اجتمع بهِ ولو خمس دقائق.ثم ذهبت الى همبرج وبرمن وليبزك وليل وعدت الى برلين قبل الميعاد المضروب لعودة ستنس اليها . ولما جاء كانت اشغالهُ تستغرق كل دقيقة من وقتهِ فقطعت الامل من الاجتماع بهِ واخذت ورقة السفر الى بروكسل في القطار الذي يسافر الساعة الثانية بعد الظهر . وجعت امتعتي الساعة الحادية عشرة وخرجت من الفندق في حاجة لي واخبرت كاتب الفندق اني اعود بعد عشر دقائق. ولما عدت لاقاني هذا الكاتب وهو يقول مضطربًا ان ستنس سأل عني . فقلت واين هو الآن فقال ركب اتوموبيلهُ منذ دقيقة ومضى . فهرولت الى الغرفة التي ينزل فيها فقالت لي المرأة التي تديرها ان الرئيس (وهذا لقبهُ عندهم) كان يطلب ان تركب معهُ الى ادن هوتل. فنزلت حالاً قاصدًا ان اتبعهُ واذا بالماجور ينادي ويقول لقد فتشنا عنك في كل مكان هاك بطاقة الرئيس . فاخذتها واذا هو قد كتب فيها بقلم الرصاص « اني متأسف جدًّا لاني لم اتمكن من الوصول اليك الساعة ١١ ونصف . فاحييك »

والبطاقة بسيطة جدًّا واسمهُ عليها مطبوع بحروف عادية . اغنى اغنياء المانيا يحملهُ كرهةً للتبذير والظهور على حمل بطاقة مطبوعة بالحروف

فلم اقنع بهذه البطاقة وقلت للماجور لا بدَّ لي من رؤية ستنس قبلما اذهب. فاشار عليَّ ان اخاطب ادن هوتل بالتلفون واسأل عنهُ ولم يكن الاَّ لحظة حتى رأيت ستنس داخلاً فعرفتهُ من شدة مشابهتهِ لصورهِ التي رأيتها وسرت نحوهُ وللحال عرَّفهُ الماجور بي فقلتُ في نفسي هذه فرصة لا تفوَّت وسرت امامهُ الى زاوية هناك وجلست معهُ نصف ساعة اكلمهُ واسمع حديثهُ

وهو عريض الوجه اصفرهُ متعب العينين اسود الشعر قصير اللحية اقنى الانف كأنهُ من النسل السامي ولعل ذلك سبب ما يقال عنهُ وهو انهُ يهودي والحقيقة انهُ مسيحي انجيلي الاَّ ان سحنتهُ شرقية حتى لو لبس عباءة لظُن من عرب البادية . لباسهُ اسود ساذج مجمَّد كأنهُ ينام فيهِ . قبتهُ واطئة وربطتها تكاد تصعد عنها . على رأسهِ برنيطة سوداء ضيقة الزغف يلبسها صيفًا وشتاء .

تراهُ فتحسبهُ كثير الهموم مضيَّع الافكار منهوكاً من التعب ولكنهُ حالما يتكلم تبرق عيناهُ وتبدو منهُ قوة عزم وصلابة عود لم تكن تنتظرهما منهُ

سمعتهُ يشخص ادواء العالم الاقتصادية بالدقة والايجاز ويبدي رأيهُ فيما تأول اليهِ كان عينيهِ تخترقان حجاب الغيب . فقلت هنا رجل اعدَّتهُ الطبيعة لمحاربة الجبارين. عزيمة ماضية وهمة عالية وارادة من صلب الحديد وإقدام لا يعرف الاحجام . هذا ما تراهُ حينما تلقاهُ وتحادثهُ

حالما شرعنا في الحديث رأيت منهُ رجلاً لا يحجم عن مكاشفة محدثهِ بآرائهِ . قال لي انهُ اسف لانني اضطررت ان انتظر طويلاً قبلما تمكن من مقابلتي واسف ايضاً لانهُ لم يتمكن من الاجتماع بي في اول النهار . وكنت احسب انهُ كتوم اضطر ان استخرج الكلام منهُ استخراجاً لكنهُ لم يكن كذلك بل وجدتهُ يفيض في حديثهِ بسرعة غريبة . وكنت قد عرفتُ بالاختبار ان خير السبل لتسهيل الكلام على من تحادثهُ ان تحادثهُ بلغتهِ فحادثتهُ بالالمانية واول سؤال القيتهُ عليهِ هو « هل تستطيع المانيا ان تدفع الغرامة المطلوبة منها »

بادأتهُ بهذا السؤال لانني اعرف مقدار اهتمام الالمان بامر الغرامة وامتعاضهم منها فلم اذكرها لاحد منهم الاَّ احمرَّت وجنتاهُ واندفع في الكلام فكان كما ظننت لانني لم اكد اطرح سؤالي عليهِ حتى قال

« يستحيل على المانيا ان تدفع ما طُلب منها . وهذا الاسلوب فاسد كلهُ فاولاً المبلغ باهظ جداً لم يُسمع بمثلهِ وثانياً اذا اردنا ان نوفي القسط الاول وجب علينا ان نبتاع نقوداً اجنبية فيرتفع سعر الريال ارتفاعاً فاحشاً ويهبط سعر المارك هبوطاً فاحشاً وتضطر مطابعنا ان لا تكف عن طبع ورق النقد فيزيد مركزنا المالي ضعفاً على ضعف . وكيفما قلبت نظرك في الغرامة وجدت فيها اموراً مستحيلة فاذا ارادت المانيا ان توفي ما يطلب منها مما يزيد في صادراتها احتاجت الى خمسة ملايين عامل فوق عمالها فمن اين تأتي بهم ولم يبقَ لنا مستعمرات والحرب فتكت برجالنا. لم يصب امة مغلوبة من الذل ما اصابنا . كانت الامم المغلوبة تعطى وقتاً لتتنفس اما نحن فنشعر بيد الذين قهرونا آخذة بخناقنا » ثم جعل يصف حالة العالم المالية بعبارات وجيزة تكاد تكون من جوامع الكلم وكنت اراها اميركية في ايرادها ومرادها اكثر منها المانية قال

« العالم مريض كلهُ وساسة اوربا لا يعلمونهُ حتى يشفى . نفر قليل من رجال الاعمال يجلسون وينظرون في حال العالم يستطيعون ان يصلحوهُ اكثر من كل رجال السياسة اجمع. مصيبة اوربا في ساستها ولا منجاة لها منها الاَّ اذا قضي عليهم

« لقد كان في طاقة فرنسا ان تجد منذ سنتين من الرجال والمواد ما يكفي لاصلاح ما خرب منها لكنها لا تهتم بهذا الاصلاح على ما يظهر كما تهتم باذلال المانيا والقضاء عليها . جمهور الفرنسويين من اهل العقل الراجح الذين يحبون الاصلاح ولكنهم خاضعون لصحافتهم وساستهم محمولون بها وبهم على ارغام المانيا

« على اوربا وسائر بلدان العالم ان تعلم انهُ لا يمكن العَوْد الى النظام الذي كان قبل الحرب من غير ان تعود المانيا منتجة كما كانت لانها ضرورية لفلاح العالم فاذا اصلحت سريعاً اصطلحت احوال العالم سريعاً

« واذا لم تتعاون ممالك الارض معاً فقد قضي عليها لارتباطها بعضها ببعض. ولا ينجو السران الاَّ بالتعاون »

وسألتهُ عن مستقبل المانيا فقال « يستحيل عليك ان تلاشي ستين مليوناً من النفوس ولاسيما اذا كانوا من اهل العمل وصلاح حالهم يفيد العالم كلهُ . المانيا تودُّ ان تعمل وتتمم قسطها من الاصلاح ولكنها تحتاج الى المواد الاولية التي تعتمد عليها في صناعتها . والذين عندهم هذه المواد لا يريدون ان يعملوا . الصناعة الالمانية انتعشت الآن بعض الانتعاش وكان في الامكان ان يزيد انتعاشها لولا ما تجدهُ من العوائق

« ولا بد للصناعة من الشركات المنظمة. ولا يقصد بالشركات ابطال المنافسة بل التمكن من احراز ما يلزم من الوقود والقوة لكي يكثر المصنوع »

فسألتهُ ما هو اصلح تدبير تتفق عليهِ الامم المختلفة ويمكن العمل بهِ

الى هنا كان كلامهُ وكلامي بالالمانية فلما القيت عليهِ هذا السؤال جعل يتكلم بالانكليزية وهو يحسنها غاية الاحسان فاجاب

« ان الحرب قد اثبتت بطل المحالفات السياسية . وان اهم شيء في العالم العمل الزراعي والصناعي فعلى امم الارض ان تهتم باعادة الحياة الى العمل. وعندي ان التحالف الصحيح المفيد هو التحالف الاقتصادي التحالف على اصلاح المعايش. تحالف مثل هذا يجب ان يكون مؤلفاً من اميركا وانكلترا والمانيا فيضمن معايش

الناس ومتى تمّ ذلك سهل ابطال الحروب »

فقلت اراك ادخلت انكلترا في هذا التحالف

فقال « نعم ادخلتها لانها اذا لم تدخل اقامت الدنيا واقعدتها ويجب ان تدخل فرنسا ايضاً لانها عضو فعّال ورجال فرنسا من رجال العمل »

ثم استطرد الى روسيا وقال « لا بدّ من روسيا لاوربا وللعالم اجمع . لا بد من روسيا المنتظمة المشتركة في العمل روسيا التي تنتج وتصدر وتشتري . ولقد كان انفرادها وخروجها من مصاف البلدان المنتجة سبباً فعّالاً في تأخر شفاء العالم مما اصابهُ لانهُ لا يمكن ان يبطل مائة مليون نفس ابتياع ما يحتاجون اليهِ من غير إخلال في ميزان تجارة العالم اضف الى ذلك ان النقد قد خربت وان قوة المانيا على المشتري قد ضعفت جدًّا بما حلّ بنقودها من الهبوط وكانت النتيجة اللازمة عن ذلك ان حدثت هوة كبيرة في سوق التجارة ولا بدّ من ردمها والاّ بقيت الامور على ما نرى من التضعضع والخلل

« ولروسيا الفعل الاكبر في اوربا ولا تستطيع بلاد واحدة ان تصلحها بل ذلك يستلزم اتحاد اميركا وانكلترا والمانيا على اصلاحها . والالمان مؤهلون للعمل فيها بموقعهم الجغرافي ولانهم يعرفون لغتها ويدركون افكار شعبها »

وقبل ان اسألهُ مسألة اخرى استطرد الى موضوع آخر وقال « اتعلم ما هو اهم شيء للاصلاح بعد الخلاص من رجال السياسة . هو في رأيي اشتراك اميركا الفعلي في امور اوربا فان السياسة التي يراد بها ابتعاد اميركا عن الاشتراك في مصالح اوربا من شأنها القضاء على اوربا . لاميركا مصالح كبيرة في اوربا فلا بدّ لها من الاشتراك معها ولكن ليس على الاسلوب الذي وضعهُ ولسن لان اوربا محتاجة الى رجال فعالين لا الى رجال قوّالين »

وكلما تمادى في الكلام زاد اقتناعي بانهُ يحيط علماً بكل امور العالم . واستمرّ يخاطبني بالانكليزية الاّ حينما كان يصل في حديثهِ الى امر يريد تأكيد الكلام فيهِ فكان يعود الى الالمانية . واتضح لي انهُ كان متتبعاً لكل ما يجري بين الدول من المذاكرات والاعمال فقد اخبرني ثقة في اليوم السابق عن امر يمس علاقات اميركا الخارجية وهو يقول هذا سرٌّ محض لكن ستنس ذكرهُ لي حينئذٍ وقال انهُ لا يزال سرًّا

ولما رأيت انني ملأت جعبتي وان كتابهُ وقفوا حولنا ومقوسنا بعين المنتظر المتضجر قلت لا بدّ من الوقوف هنا لكن كانت تنسي تحدثني ان اسألهُ عن الغرض الذي يرمي اليهِ من كل هذا التعب وهذا الشقاء فقلت لهُ انك تزيد اشغالك وتوسع اعمالك كل يوم فالى اي غرض انت ترمي . ان بسمارك قصد ان يجمع شمل الممالك الالمانية ويجعلها امبراطورية واحدة ففاز فهل تقصد انت ان تجمّع شمل المعامل وكل المصالح الصناعية وتديرها بنفسك

وكان الى الآن يتكلم ووجههُ اصفر لا حركة فيهِ فلما القيت عليهِ هذا السؤال تبسم قليلاً وقال « هذا سؤال لا استطيع ان اجيبك عنهُ »

وكانت الساعة قد دقت الواحدة فنهض فودعتهُ وودعني بقولهِ auf wisdersehen اي الى اللقاء

وسنأتي في الجزء التالي على ما ذكرهُ الكاتب من تاريخ ستنس ووصف اعمالهِ الكثيرة

المعيشة قبل الحرب وبعدها

كتب كاتب انكليزي رسالة الى مجلة « اوتلوك » الاميركية المشهورة قابل فيها بين احوال المعيشة في انكلترا قبل الحرب وبعدها . ولما كان معظم ما ورد فيها ينطبق كلّ الانطباق على احوال المعيشة عندنا رأينا ان نلخصها ليقيس القراء عليها . فان متوسط نفقة المعيشة في انكلترا ارخص مما هو في سائر بلدان اوربا كما ان متوسط المعيشة في مصر ارخص مما هو في سائر بلدان الشرق الادنى . ويؤخذ من الاحصاءات الرسمية ان المعيشة في انكلترا ارخص مما هي عندنا . فقد جاء في احصاء انكليزي اخير ان متوسط اثمان الحاجيات في انكلترا الآن هبط الى ١٢٨ في المئة فوق ما كان قبل الحرب وهو عندنا لا يقلّ عن ١٦٠ في المئة . قال الكاتب:

اذا حدّثت الانكليز على اختلاف طبقاتهم تستقط منهم جميعاً ان غاية ما يتمنونهُ ان ترجع عقارب الساعة الى الوراء حتى تأتي بهم الى سنة ١٩١٤ . وسمعتهم يقولون متحسرين ان اوقات الصفاء والرخاء التي تقدمت الحرب لن تعود . وما من احد الاّ ويعلم ان سنة ١٩٢١ تختلف كلّ الاختلاف عن سنة ١٩١٤ ولكن